المعبودات القرطاجية المرتبطة بالأضاحى البشرية

أ /حنان يونس خليل محمد الطيب

أخصائى ترميم - وزارة السياحة والآثارالمصرية

hananyounis817@gmail.com

الملخص

تتناول هذة الورقة مكانة الدين والآلهة خاصة في حياةالقرطاجيين والتي تركت لنا عددًا لا يستهان به من الاثار المادية المتعلقة بالمعتقدات الدينية والتي تتمثل في بقايا المعابد والنقوش والنصب والتماثيل، كما تعددت الألهة القرطاجية حيث حظيت بتقديس واهتمامات كبيرة وكان الإله يختص بجانب معين من الحياة في مختلف بلاد المغرب القديم ‘فلقد أقام القرطاجيون لألهتهم الشرقية التى جلبوها معهم إلى شمال إفريقيا معابد كثيرة فى مستعمراتهم التى أسسوها فى قرطاج ، فكان الفينيقيون يعتقدون بتعدد الألهة التى لكل منها جانب واختصاص معين فمثلاً كان بعل حمون وتانيت مرتبطان بتقديم القرابين البشرية،وكانت الألهة في قرطاج تمثل مصدر الأمراض والشفاء، ولذلك كانوا يقيمون الاحتفالات الدينية التي من خلالها تقديم القرابين البشرية، وذلك بهدف إرضائها والترجي بها للعودة إلى الحالة الطبيعية وجدت طقوس أخرى أيضًا، حيث كان على المؤمنين تقديم القرابين للمعبد أو التضحية من الحيوانات وذلك في مقابل خدمة مثل الصحة، وتضميد الجراح، والخصوبة، ووفرة الحصاد، والانتصار على العدو،...الخ، وخلاصة القول فإن هذه الممارسة الدينية يبدو أنها قد تداولت داخل العالم البونيقي بأسره وليس داخل العاصمة البونيقية فقط.

Abstract

This Paper will discuss Religion had an important place in the life of the Carthaginians, which left us with a significant number of material effects related to religious beliefs, which are represented in the remains of temples, inscriptions, monuments, and statues. The Carthaginians built many temples for their eastern gods, which they brought with them to North Africa, in their colonies that they founded in carthage. The Phoenicians believed in the multiplicity of gods, each of which had a specific aspect and specialization. Diseases and healing, and therefore they held religious ceremonies through which human sacrifices were made, with the aim of satisfying them and begging them to return to the

there were other rituals as well, in which the believers had to make ,normal state offerings to the temple or sacrifice animals in return for a service such as health, healing of wounds, fertility, abundant harvest and victory over The enemy, …etc., in summary, not only this religious practice to have circulated within the entire Buddhist world rather within the punic capital

الكلمات المفتاحية : قرطاج – ديانة –الآلهة - قرابين بشرية

مقدمة

كانت حاجة الفينيقيون الملحة إلى النشاط الاقتصادي أوجبت عليهم تقديس المظاهر التى توفر لهم سبل ممارسة ذلك النشاط فلجئوا إلى عبادة آلهة اعتبروها هى المسئولة عن سير الأوضاع الطبيعية التي تميزت بالاختلاف والتنوع، لذلك تعددت الآلهة الفينيقية وكانت كل آلهة تختص بظاهرة معينة من الظواهر الطبيعية التى تتميز بها أرض فينيقيا، ورمز معظمها إلى الشمس والماء والزراعة

لذلك كان لكل مدينة إله يهتم بشئونها ويتمتع بمكانة عالية دون الاختلاف فى الرتب والوظائف وهذا ما يعيق فهم العلاقة بين الآلهة الفينيقية وطبيعنها ولكن يبدو أن الاختلاف كان فى الأسماء ، كما حملت العديد من النقوش الكتابية والصور والنقوش المنحوتة، فوق الأنصاب والبقايا الأثرية الأخرى من حلي وتماثيل صغيرة عثر عليها في العديد من مناطق قرطاج.

الموضوع

المعبودات القرطاجية المرتبطة بالأضاحى البشرية

بعل :Bael

ويعد بعل حمون من أكبرالمعبودات القرطاجية وأكثرهم شهرة واسم بعل حمون وهو إله فينيقي من حيث التسمية قيل ان يكون قرطاجية[١]

بعض أن هذه التسميات تشير إلى أماكن عبادته المحلية [٢]، وتعددت آراء الباحثين وتباينت حول أصول عبادته، فمنهم من اعتبره إلهً فينيقيًا، جاء الي المنطقة مع التجار الفينيقيين، الذين انتقلوا من صور إلي قرطاجة، مستدلين في ذلك على بعض الشواهد الأثرية كالنقوش لإثبات نظريتهم.

كما أن عبادة الإله بعل حمون تعد من أهم العبادات وأكثرها انتشارًا فى غرب العالم الفينيقي، وقد ظهر اسم هذا الإله فى الشرق أيضًا حيث وجد فى نقوش فى شمال سوريا حوالى القرن التاسع

قبل الميلاد و حمون تعني سيد الألواح النقشية [٣]، قد وجد فى أغلب المصادر التاريخية أن أسمه يعنى إله

وقد ورد أسم بعل فى القران الكريم فقال تعالى :"

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ"[٤]صدق اللة العظيم

وهو يعنى السيد أو صاحب القوة، أما المقطع الثاني يعنى الحرارة أو الجمر وبهذا يكون حمون سيد الموقد أو سيد النار [٥] واشتهر بعل حمون بألقاب عديدة من أهمها سيد الأنصاب جميعًا وكان هذا اللقب المتداول بينهم [٦]. كما اعتبر حاميًا للأموات ومعينًا لهم فى رحلتهم فقد عثر على صوره فى العديد من الحلي التي تزين الموتى وقد خصص له العديد من المعابد نذكر على سبيل المثال معبد صلمبو بقرطاج

وهو يعبر عن الارتباط القوي بين القوى الإلهية، والظواهر الطبيعية، وإله الشمس أيضًا، كانت الصلاة إليه (في قرطاج ومعظم مدن الساحل الإفريقي) تُقرن عادة بالصلاة للالهة تانيت Tanit التي كانت تسمّى "وجه بعل"، وقد يكون الجمع بينهما استمراراً لما كان أسلافهم الصوريون يفعلونه إذ كانوا يقرنون عباد بعل مُلُكْ بعبادة عشتروت، وقد مُثل بعل حمون بالإله الروماني جوبيتر وبالآلهه زيوس وأبوللو وساتورن. ويرمز له بكبش مقرّن[٧].

ارتبطت عبادة كلا من بعمل حمون وتانيت بما اصطلح على تسميتها بعبادة القرابين البشرية، وقد نالت هذة الظاهرة صدى واسعا، حتى أنها نتسببت فى توجيه الكثير من النقد والتجريح للحياة الدينية القرطاجية.

تانيت Tanit

كانت الإله تانيت من الآلهة الأكثر انتشارًا في المغرب العربى القديم وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد وبالتحديد في النصف الثانى والتى كانت إلى جانب بعل حمون، حتى اقترن اسمها باسمه وأصبحت تعرف بتانيت بنت بعل (tnt.pn.B'l) لكثرة ذكرها في النقوش في رفقته، واحتلت بعد ذلك المرتبة الأولى منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وصارت تقدم لها خصيصًا النظور والإهداءات، ولقد وصفت بأنها أعظم الآلهة وأم كل حى وإله الخصب[٨].

كما لقبت أيضًا بآلهة القمركما أشار شارلى أندري جوليان فى كتابة شمال أفريقيا، إلى تانيت في كونها الآلهة الأم المرضعة للأطفال[٩] أيضًا نقشت على مداخل بعض المعابد في شكل رأس لبوة وهو ما يدل على دور الحماية قد ارتبطت تانيت كذلك بالطبيعة والحال البرية والصيد، كما أنها ذكرت بأنها آلهة الزراعة التى توفر الأمطار وتعمل على خصوبة الزرع واعتبرت تانيت واحدة من الآلهة القليلة التى ذكرت تحت اسماء متعددة وأشكال كثيرة وطقوس مختلفة

ظهرت تانيت منذ النصف الثانى قبل القرن الخامس قبل الميلاد،[١٠] فقد عثر علماء الآثار على تقسيمات تذكارية تحمل نقوش فينيقية تتضمن عبارة (ح ن ت م ت) والتى تعنى حماية أو رحمة تانيت بالإضافة إلى رمز تانيت المميز الذى نقش بوضوح على هذه القسيمات [١١]

ويظهر أن الآلهة تانيت قد مثلت في أشكال أنثوية تحمل أسلحة مع ارتفاعها لذراعيها تمثيًلا بسيطًا على مئات من الأنصاب (stela) في قرطاجة وغيرها، ويبدو أن رمز اليد اليمنى المفتوحة والمرفوعة إلى الأعلى كان لها علاقة بهذه الآلهة المقصود منها هو جلب الحماية والخير، والتى مثلت من أشكال التمائم وهى لازالت توجد في البلاد العربية وخاصة في ليبيا حيث رسمت عند مداخل البيوت والغرف لجلب البركة والخير وللحماية من عين الحسود، وكذلك الهلال المقلوب الذى يظهر في الجزء المقعر منه دائرة أو نقطة كما يظهر على نصبها أيضًا صولجان ملتف حوله حتان وفى أعلاه جناحان والشكل يرمز إلى جسد إمرأة وكذلك الهلال المقلوب[١٢]

ومن رموز تانيت الأذن المصغية التى تدل على الصلاة والأدعية، وهذا الرمز من رموز بعل حمون كذلك[١٣]، فقد كانت الكثير من الطقوس القرطاجية تحمل رمز الإلهه تانيت على شكل كوكب الزهراء يتصل بها هلال ويشير هذا الرمز إلى أمرين أولهما العذرية،حيث يرمز له من خلال القمر والثانى يرمز إلى الخصوبة والأمومة(النجمة) [١٤]

ورد في نقش قرطاجي: "إلى الربة تانيت، وجه بعل، وإلى الرب بعل امون، هذا ما كرّسه بُدملقرت بن عبد ملقرت بن هملقرت، لأنه سمع صوته، فليباركه الإله". وقد عثر على أكثر من ٢٠٠٠ لوح نقشي بنصوص شبيه بهذا النص، بل تكاد تكون واحدة في عبارتها لا يتغير فيها شيء سوى أسماء القرطاجيين، وقدّر زمنها بمائتي سنة قبل دمار قرطاج"[١٥]

ملكارت:

وهو يمثل للقرطاجيين على أنة الإله الحامى والمحسن وهو مايفسر تعلق القرطاجيين به ، وانتشرت عبادته من صور إلى قبرص [١٦]ومصر وقرطاج وغيرها وكان ملقرط فلا الأصل معبودًا شمسيًا ،وأصل اسمه "مولوخ قرط"ويعنى ملك المدينة كما ذكرت فى العديد من المراجع أنة مجن قرطاج والدرع الحامى ،كما أنة رمز من رموزالذكورةالمتمثلة فى الشمس والسماء والنهار وظهرت عبادتة فى العديد من المراكز القرطاجية والعربية نذكرمنها على سبيل المثال قادش وأيضًا وجدت عبادتة فى ليكسوس حيث خصص لة معبد

منذ القرن الثانى عشروقدمت له الأضاحى البشرية من الأطفال فقد ذكرت العديد من الروايات أن سكان قرطاج حين يضيق بهم أمر ما فى تجارة أو حرباً وغيرهما يضحون بأبكارهم من الأطفال، وتتم التضحية بحرق هؤلاء الأطفال تقربًا لة ولبعل من أرقى الأسرات، حيث ذكر الكثير من المؤرخين أن القرطاجيين قد ضحوا بما يقرب من مائتي غلام [١٧]

واطلق عليه أيضاً اسم (الملك الرهيب) ، وقد دخلت عبادتة قرطاج فى وقت مبكر،وتشير الدراسات إلى أنة كان من المعبودات الرئيسة حتى القرن الخامس قبل الميلاد،حيث يذكر أن قرطاج ،كانت ترسل لة عشر محصولها وعشر غنائم حروبها للإله ملكارت فى الشرق[١٨]

كما أنها كانت ترسل الوقود لمدينة صور للمشاركة فى الأحتفالات الثانوية ،وأستمر ذلك إلى القرن الخامس قبل الميلاد ،هذا وقد وجدت صور للإلة ملكارت على بعض النقود القرطاجية وهذا يدل على عبادة هذا المعبود على المستوى الرسمى للدولة القرطاجية لا سيما وأن العملة لم تضرب إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد[١٩]

وبالرغم من هذا الأنتشار الواسع ،إلا أننا نلاحظ النذور المهداة لة قليلة جدًا،وحاول بعض المؤرخين أمثال حسام أبو سعدة ومحمد أبو المحاسن عصفورةتفسير هذة الظاهرة ،بأنه كان هناك نوعان من الديانة فى قرطاج وهما الديانة الرسمية لقرطاج والقائمة على عبادة حمون وتانيت،أما الديانة الشعبية والتى كانت تمثل الشرائح الكبيرة من المجتمع القرطاجى التى كانت قائمة على معبودات شعبية والتى كانت توفر الحماية والرعاية والسلام للمتعبدين من بينهما قرطاج [٢٠]،كانت عبادة ملكارت تتم فى قرطاج داخل معابد مخصصة لة ،والدليل على ذلك النقوش المخصصة لة،كما وصف أحد أحد

الناذرين نفسة بأنة خادم صيدا ،وملكارت وقد تبنى العديد من القرطاجيين أسماء ملكارت حتى إن البعض أحصى عدد الأسماء التى تحمل اسم ملكارت ،

وكما ذكرنا سالفًا أن هناك بعضًا من الآله مرتبطة بالقرابين البشرية من الأطفال يعتبر أهم إلهين هما بعل حمون وتانيت حيث كان الفرطاجيين يقيمون لهم شعائر دينية خاصة فى معبد التوفيت [٢١] وذلك قياسًا على ما ورد فى التوراة حول توفاة مدينة أورشليم فى فلسطين، حيث تدين التوراة فى العديد من نصوصها القرابين البشرية التى يقدمها البشريون والتي عرفها القرطاجيون باسم قدس بعل أمون، مع ان الإلهين مشتركين فى نفس طقوس هذه العبادة بل فى الغالب يقدم اسم الربه تانيت على الإله بعل أمون، وقد أشار شيشرون[٢٢](Cecero) إلى أن يوليوس قيصر(Julius Caecar) منع سكان مدينة قادس – عام ٦١ قيل الميلاد – من ممارسة هذه الطقوس.

كما أن ديودورس الصقلي أشار إلي هذه الطقوس فى معرض حدبثه عن هجوم أجاثوكليس (Aguthocles) على مدينة قرطاجة، وقدم وصفًا للطريقة التي تمارس بها تلك الطقوس، حيث يوضع القربان بين يدى تمثال الإله المصنوع من البرون،وكانت يداه ممدودتين فوق موق مستطيل الشكل، ثم تتدحرج الضحية فى لهب الموقد، ويقوم أحد الكهنة بتولي مهمة تقديم القربان [٢٣] .

الخاتمة

أرتبط القرطاجيون بالجانب العقائدى أرتباطًا قوياً ،فعبدوا آلهة متعددة ،والتى أحتلت المرتبة الأولى فى حياة القرطاجيون،وعلى رأسهم الإلة بعل حمون وتانيت اللذان أحتلا الصدارة ضمن مجموعة الألهة التى عبدها القرطاجيون واللذان أرتبط أسمهما ، بالقرابين البشرية بالدرجة الأولى ،فكانت أهم أنشغالات القرطاجيون بها،إلى جانب آلهة ثانوية أخرى ، ولقدخصص القرطاجيون لعبادة آلهتهم الأماكن المقدسة والعبادات الدينية التى بنو عليها أفكارهم ومعتقداتهم فى الحياة خلال الأزمنة القديمة.فلقد صاحبت العقيدة الدينية الإنسان منذ مراحلة الأولى، ولعلة أهم ماتميز بة عن باقى المخلوقات أنة كائن عاقل متدين ،فلم يكن لدية عاطفة روحانية فحسب،بل حاجة ماسة شعر الإنسان بضرورتها،بنفس درجة حاجاتة الإقتصادية من أجل حمايتةومساعدتة على تجاوز المخاوف والأخطارالتى كان يشعر أنها تهدد وجودة ،لذلك عمل على تطور الفكر الدينى لدية مع القوى التى شعر نحوها بالقداسة ومارس طقوسة الدينية معاها ،فكانت الآلهة التى يلجأ إليها فى أحزانة وخوفة، ويتوسل إليها طلباً للطف فى مآسية والبركة فى أنتصاراتة.ويقدم لها القرابين المختلفة. ولذلك فإن أهمية هذا الموضوع هى أهمية كامنة فى تناول المعبودات المرتبطة بتقديم الأضاحي والقرابين القرطاجية كجانب حضاري هام جداً فى فترة تاريخية هامة فالموضوعات الدينية القرطاجية، تعتبر من الموضوعات الفريدة التي لم يأخذ نصيبًا كبيرًا من الاهتمام والدراسة على عكس اهتمام الباحثين بالجوانب الحضارية الأخرى كالسياسة والعسكرية والاقتصادية .

حواشي البحث

[١] - - بوب ،رولينغ ،قاموس الآلهة والأساطير ترجمة :محمد وحيد خياطة ،دار الشرق العربى بيروت ،٢٠٠٢،ص٢٤٠

[٢] -نفسة ، ص٢٤٦

[٣] -عبد الحفيظ فضيل الميار,الحضارة الفينيقية فى ليبيا ، مركزجيهاد اللبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،٢٠٠١ ، ص٢٠٦-٢٠٨

[٤] -سورة الصافات ،أية ١٥٢

[٥] -عبد الحفيظ الميار،الحضارة الفينيقة ،مرجع سابق، ص٢٤٦

[٦] - نادية يفصح،ألهة الخصب البونية النومدية،رسالة ماجستيرفى التاريخ القديم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،٢٠٠٥م، ص٦٤

[٧] عبد المنعم المحجوب، مادة: بعل حمون في معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.ص٩٢

٨- هنري عبود،معجم الحضارات السامية،طرابلس :جروس بروس ، ليبيا،١٩٩١،ص٦٨

٩ - شارلى اندري جوليان،تاريخ شمال أفريقيا، ترجمة :محمد مزالى وبشير بن سلامة،مؤسسة تواليت الثقافية ،تونس ، ١٩٩٦، ص ١٨ .

[١٠] -صلاح أبو سعدة ،تاريخ وحضارة الفينيقيين ،مكتبة النافذة ، مصر ،٢٠١١،ص١٤٠

[١١] -عبد المنعم المحجوب :معجم تانيت ،دار الكتب العلمية ،بيروت ٢٠١٣،ص٨٧

[١٢] - خزعل الماجدى، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع،عما ن ، ٢٠٠١ ، ص١٨٣

[١٤] -نفسة،ص ١٨٣-١٨٥

[١٥] - عبد المنعم المحجوب: معجم تانيت، مرجع سابق ،ص٨٨

[١٦] - مادلين هورس ،تاريخ قرطاج ، ترجمة :إبراهيم بالش ،منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨١، ص٤٩

١٧- محمد بيومى مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٩٠،ص ٢١٥

[١٨] -أحمد الفرجاوى ،بحوث العلاقات ، بين الشرق الفينيقى وقرطاج ،المجمع التونسى ،تونس ،١٩٩٣،ص١٧٣

[١٩] -إبراهيم خليل خلايلة ،مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية :المصادر التاريخية -الأثرية -النقائش ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ،جامعة تونس،١٩٩٥،ص١٧٤

[٢٠] -حسام أبو سعدة ، حضارة قرطاجنة ،مكتبة النافذة ،مصر ،٢٠١٠، ص ١٤٩-١٥٠ .

٢١- فرانسوا دوكرية،قرطاج أو أمبراطورية البحر،ترجمة :عز الدين أحمد عزو،الأهالى للنشر ،دمشق ،١٩٩٦،ص١١٥

22-- Picard,Les sacrifices Molk chez les puniques:certitudes et hypothe’ses”,Semitica,39.1990. p.88

٢٣- محمد بيومى مهران، المغرب القديم، مرجع سابق ، ص٢١٥